الصهيونية. وباستثناء الهامش الدعائي الذي تضمّن مقولة «تحضير المنطقة، وانتشالها من الفقر والمرض»، لا يجد الباحث في الخطاب الصهيوني، بمجمله، أي تصور لشكل العلاقة مع الانسان في المنطقة، باستثناء علاقة التصارع والاجلاء والاستيطان، المبنيّة على مزاعم الوعد الالهي، والحق التاريخي، الخ.

لقد أدرك أوائل المهاجرين الصهيونيين الى فلسطين ان تحقيق مشروعهم، ذي الطابع الاستيطاني الاجلائي، لا يمكن ان يتمّ برضى أهل البلاد الشرعيين، وان الخيار الصهيوني الوحيد هو فرضه على المنطقة بالقوة. ولهذا، فان الشكل الوحيد للعلاقة مع العرب، الذي تصوره المستوطنون الصهيونيون، والذي أصبح، فيما بعد، سياسة ثابتة لاسرائيل، يقوم على تسليم المنطقة العربية بالقوة المادية اليهودية. وهو تسليم لا يلغي حالة العداء الناجمة عن استلاب الحقوق العربية، بل يعني انكفاء العرب أمام هذه القوة، واقرارهم بعدم القدرة على مجابهتها، ونزولهم عند املاءاتها. وقد عبّر م. بلنسون، العام ١٩٣٦، عن هذا التصور بالقول: «سنحارب العرب حتى يتمّ التوصل الى السلام. ولن يتحقق هذا السلام الاّ بعد أن تصبح قوة شعب اسرائيل، في أرضه، كفيلة، مقدماً، بهزيمة أي هجمة للعدو، هزيمة ساحقة، أينما كان، وبعد ان يدرك اكثر الاعداء جرأة وحماساً في كل معسكرات الأعداء، انه لا توجد أية وسيلة لكسر قوة الشعب الاسرائيلي... ولا يوجد أي طريق آخر غير طريق التسليم بوجوده»[١].

وتحدث دافيد بن ـ غوريون، في الفترة عينها، عن «حيوية» السلام بالنسبة الى المشروع الصهيوني، ولكنه ليس السلام القائم على الغاء أسس الصراع، بل على التأجيل المؤقت للصراع، فقال: «ان الاتفاق مع العرب لا يستهدف احلال السلام؛ فالسلام هو، حقاً، أمر حيوي بالنسبة الينا، لأنه لا يمكن بناء البلاد في وضع من الحرب الدائمة؛ ولكن السلام، بالنسبة الينا، هو وسيلة؛ أمّا الهدف، فهو التحقيق التام للصهيونية. ولأجل هذا نحتاج، فقط، الى اتفاقية»[٢].

لقد رفض الصهيونيون، خلال عقدي الثلاثينات والأربعينات، فكرة الدولة الفلسطينية، التي يعيش فيها كل من العرب واليهود، ويتمثّل كل منهم في هيئاتها المختلفة بحسب نسبته العددية، وأصرّوا على فكرة الانفصال بكيان جغرافي ـ سياسي ذي طابع يهودي «نظيف». ولهذا، فقد تمسّكوا بمشروع التقسيم، الذي رفضه العرب، لأنه يشكل انتهاكاً لحقوقهم الوطنية والسياسية. غير ان نتائج حرب العام ١٩٤٨ قلبت المعايير، حيث تمكّن المستوطنون اليهود من السيطرة على القسم الأكبر من أرض فلسطين، وكانت اتفاقيات الهدنة تعبّر عن تسليم العرب بالهزيمة في تلك الحرب.

وفي العام ١٩٤٩، ذهب العرب الى مفاوضات الصلح في لوزان، ليعرضوا على الاسرائيليين القبول بحدود التقسيم مقابل اتفاقيات سلام نهائي مع العرب، وهو ما كان يشكل جوهر المطالب الاسرائيلية قبل الحرب؛ غير ان الرد الاسرائيلي كان الرفض. وقد كتب مندوب الولايات المتحدة الى مفاوضات لوزان، مارك ارتريج، رسالة الى الرئيس الاميركي هاري ترومان، جاء فيها: «ان اسرائيل تتجه نحو ارساء مستقبلها على أمنها العسكري بالتخلّي عن فرصة رائعة للتوصل الى اتفاق سلام...». وفي آب (اغسطس) من العام عينه، قدّر وزير الخارجية الأميركية، اتشيسون، انه لم يعد هناك أساس لحل وسط. وقال لسفراء بلده في الشرق الأوسط: «ان اسرائيل قررت، نهائياً، تفضيل الوضع الراهن»[٣].

وقد عبّر بن ـ غوريون عن تفضيله الهدنة (الوضع الراهن حينذاك) على السلام، حيث كتب في مذكراته، في تموز (يوليو) ١٩٤٩: «زارني أبا ايبن؛ وهو لا يرى ضرورة للتهافت على السلام؛ فالهدنة تكفينا؛ واذا تهافتنا على السلام، فسيطالبنا العرب بالثمن. امّا 'تغيير' الحدود، أو 'اعادة'